

احتلال الأرض واحتلال القلب

بقلم الأستاذ/ادمون الشدياق

مسؤول لجنة الإعلام في الاتحاد اللبناني الكندي لحقوق الإنسان

"التاريخ مليء بأمثلة لدول احتلت دولاً أخرى حاولت تركيع شعوبها، لكن التاريخ مليء أيضاً بأمثلة شعوب رفضت الاحتلال وقاومته ومنعت أن يكون أكثر من احتلال أرض ومساحات من دون أن يتعدى ذلك إلى العقل والقلب والنفس"

من أقوال الرئيس الشهيد الشيخ بشير الجميل

إن توقيف رئيس الاتحاد العمالي العام السيد الياس ابورزق ما هو سوى فصل آخر من سياسة لحس المبرد التي تمارسها الدولة اللبنانية، تلك السياسة التي كلما تابعت فصولها استنزفت المزيد من رصيد تلك الدولة التابعة، والمزيد من صبر الشعب الذي بدأ بالنفاذ. فهذه الدولة التي جاءت على شاكلة ومثال باقي الأنظمة الدكتاتورية في المنطقة، " وخاصة نظام الوالي في دمشق"، حققت في سبع سنوات ما استغرق زميلاتها في الشرق دهور. فهي لم تترك بنداً لحقوق الإنسان إلا وخرقته "لتثبت احتلال أسيادها"، فمن نفي واعتقال خصومها السياسيين، إلى تعذيب الموقوفين الذين مات بعضهم تحت التعذيب، إلى تزوير الانتخابات وإغائها عندما تدعو الضرورة، إلى خرق حرمان البيوت وتلفيق التهم والصاقها بالمواطنين كما حصل مع المئات من اللبنانيين في كانون الثاني الماضي، إلى كم أفواه كل من يعبر عن صوت الشعب وتأميم الصحف وجعلها تحت الرقابة وتعطيل دور الإعلام المرئي والمسموع وجعله تحت السيطرة المباشرة للدولة لتلاعبر عما يخلج في صدور المواطنين من صرخات تدعو إلى الحرية، إضافة إلى إرهاب الصحفيين ومحاولة كم أفواههم كما حصل مع

الصحافي بيار عطالله وغيره من الصحافيين الشرفاء، إلى خطف المواطنين من أمام منازلهم وضربهم وتعذيبهم وهذا ما حصل مع المواطن جوزيف حنا جبور في التاسع عشر من شهر أيار الماضي (الواقعة نشرت في جريدة النهار الشهر الماضي)، الذي خطف من أمام منزله من قبل رجال أمن الدولة اللذين شتموه وشتموا قداسة البابا وغبطة البطريرك صفيروالدكتور سمير جعجع، وعذبوه وضربوه لمدة يومين بقصد تصفيته الجسدية وألقوه بعدها في أحد الأحرار في حالة غيبوبة، وليس من ذنب له سوى تعبيره عن رأيه خلال زيارة قداسة البابا يوحنا بولس الثاني إلى لبنان، إذ نزل إلى الشارع وهتف مع الألوف مطالباً بالحرية.

والخرق الأعظم في رأبي هو تسييس القضاء وجعل القضاة لعبة في يد أصحاب الفخامة والدولة والمعالي، وجعل أولئك القضاة قوة ضاربة تضرب كل سياسي أو صحافي أو نقابي تسوّل له نفسه معارضة وفضح ما يجري من فساد وظلم وتبعية، وهذا ما حصل باعتقال السيد ابورزق بعد إصدار مذكرة توقيف من قبل القاضي سعيد ميرزا.

والخطير في الحادثة أن الدولة انتقلت من أسلوب المواربة واللعب على القوانين بشطارة إلى الأسلوب المباشر، وهو الأسلوب الذي يعبر أيما تعبير عن استخفاف الدولة بالشعب وبالاجتمع الدولي، وعن أنها لم تعد تحتاج إلى أي غطاء لتضرب بيد من حديد كل حر وشريف. إن السيد ابورزق حصل على أغلبية الأصوات في انتخابات الاتحاد العمالي العام، برغم أن الانتخابات جرت في ظروف تشبه حالات الانقلاب العسكري حيث تحولت منطقة مقر الاتحاد العمالي العام إلى "ميدان أمني"، حتى تساءل أحد المراسلين الأجانب "هل نحن أمام عرض عسكري أم بصدد انتخابات نقابية؟".

وبرغم نجاحه اعتقل السيد ابورزق بتهمة اتحال صفة واعتصاب سلطة مدينة !!

كل ذلك لأن السيد أبورزق كان وما يزال من المدافعين والمطالبين بحقوق العمال وتحسين أوضاعهم الاجتماعية، ومن الراضين ببيع وتجيير الحركة العمالية للدولة ولأسيادها، ولأن السيد أبورزق ما زال يمثل القرار الحر، والتعامل مع الأمور من منطلق المصلحة العامة وليس من منطلق تنفيذ أوامر الوالي الشامي .

إن الضربة التي وجهت إلى الإتحاد العمالي العام هي رسالة إلى كل لبناني حرسيد لا يرضى بطأطأة الرأس للوسط السوري، كما كان مقتل الرئيس الشهيد الشيخ بشير الجميل، واعتقال الدكتور سمير جعجع، ونفي الرئيس العماد ميشال عون، وتهديد السيد دوري شمعون، وتهديد واعتقال الصحافي بيار عطا الله، وخطف وتعذيب جوزيف جبور والخ رسالة يريد بها الوالي إفهام اللبنانيين أن ما لا يجوز في دمشق لن يجوز في بيروت . إن الوالي يحاول أن يلقي درسه علينا نحن اللبنانيين وهو يطبق تجربته التي كسبها من سوريا على لبنان، وهنا سبب فشله حتى الآن وسيكون سبب فشله دائماً، لأن الشعب اللبناني هو غير باقي الشعوب في الشرق الأوسط، ومن المستحيل ترويضه . فالحاصل مع سوريا أنها كلما أقت على الشعب اللبناني درسا ألقى عليها دروساً منها، أولاً:

-إن اللبناني يعشق الحرية ويتنفس الحرية ويحلم بالحرية منذ فجر التاريخ بعكس شعوب المنطقة قاطبة، وفي كثير من الأحيان إلى حد التطرف والأحادية، حتى في مقاومته، وهذه مشكلة لسوريا فأنها لو أرادت إنهاء وضع التمرد في لبنان لاحتاجت إلى معالجة اللبنانيين كل فرد على حدة، فأنها كلما تخلصت من مشاغب نبت لها آخر، وهذا هو الحاصل معها منذ دخولها إلى لبنان .

ثانياً: إن لبنان بلد جميل "فوق الأرض"، لابل أجمل بلاد العالم. ولكن أرضه رمال متحركة لا يعرف هواها إلا أهلها، رمال متحركة غرق فيها كل غازٍ مر بلبنان، وستغرق بها سوريا وإسرائيل في القريب العاجل.

ثالثاً وأخيراً: إن سجن ال ١٠٤٥٢ كيلومتر مربع هو سجن "الإحتلال" لن يكون أكثر من احتلال أرض ومساحات، ولن تعداها إلى العقل والقلب والنفس، فهذه أولاً لله يغير فيها ما يشاء حينما يشاء ولن يكون لسوريا يوماً سلطة عليها، وثانياً فدية للبنان تقدم على مذبحه مع المهج عندما تحين الفرص وتأتي الساعة، ساعة تحقيق الوعد، ونحن ما زلنا كلنا "على الوعد".